التحولات السياسية عند الفقيه أبي عمران الفاسي (ت430هـ)

أ.د.خديجة زيار عنيزان كلية التربية للبنات
جامعة بغداد -العراق

المقدمة

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات التاريخية التي تقوم على أساس ربط الإحداث السياسية بالجانب الفكري من خلال منظور له أهداف معينة لذا كان للإحداث السياسية التي مرت بها بلاد المغرب العربي اثر كبير في التحولات الفكرية والمذهبية التي أدت الى إيجاد نوع من التغيير الاجتماعي من خلال الآراء والمفاهيم التي تبناها عدد من الفقهاء من اجل الإصلاح والتقويم الذي عد ملزما من قبل الحكام لوضع القواعد العامة التي يبنون عليها أسس أحكامهم، ومن نتائج تلك الإصلاحات ظهور الحركة المرابطية في أساسها الديني والسياسي والعسكري التي تبنى فيها الفقيه أبو عمران الفاسي آرائه رغم عدم وجود خطوط واضحة المعالم لدى الباحثين في بلورة الجانب السياسي في حياة هذا الفقيه في مناحيها العامة والخاصة رغم موسوعية هذا الفقيه من خلال الكشف عن المؤلفات الخاصة به التي كان لها الاثرالكبير في الكشف عن فكره العلمي والثقافي وقبلها السياسي الذي ساعد في التعرف على شخصيته وميوله قي المجال السياسي والفكري وربط الواحد بالأخر، أي إن تاريخ السياسة عنده نابع من تاريخ العقيدة والفقه والأصول مع ارتباط الواحد بالآخر وفق ضوابط ومحددات كان لها أثرها في إبراز مكنونات هذا الفقيه.

أي ان أبا عمران الفاسي تبنى مواقف سياسية مرتبطة بفكر سياسي عام نابع من الآثار التي كان لها أثرها البالغ في نفسه منها كونه عالما موسوعيا وذا خبرة معرفية واختصاصه بالفقه وعلم الأصول واعتناقه للمذهب الأشعري، وكان لشيوخه اثر بالغ في تكوين شخصيته العلمية ولاسيما الذين كان لهم اثر سياسي عليه، فضلا عن الوضع السياسي العام الذي في عصره الذي كان يعيش فيه إذ كان للإحداث السياسية فيه مجال واسع .

لذا سيتم في هذا البحث الكشف عن الجانب الأخر من شخصية الفقيه أبي عمران الفاسي وهي السياسية ودوره في هذا المجال إذ لعبت عوامل عدة في صياغتها وإعدادها بشكل لايستهان به، إذ كانت البذرة الأولى لها موطنه الأصلي مدينة فأس التي طرد منها من قبل حكامها وبمباركة فقهائهم الذين تصدى لهم بسبب الطغيان والظلم الذي ألحقوه بشعوبهم وتسلطهم عليهم، ثم اتخذ القيروان مركزا له اشتهر منه ونشرفتاويه ومواقفه السياسية ومشاركاته في الإصلاح، الأمر الذي جعل منه زعيما شعبيا التفت حوله العامة بشكل ملفت للأنظار في المشرق، وكذلك لقاءاته مع بعض الشخصيات المؤثرة والمهمة ومنهم يحيى بن إبراهيم بن علي في القيروان عام 427هـ وكان الهدف منه سياسي للأثنين من اجل إقامة دوله سنية مالكية

لجمع شتات المغرب الإسلامي وإنقاذه من حالة التفرقة ثم تبلور ذلك في مشروع تأسيس دولة المرابطين(484–540هـ) القائمة على أساس الحق والعدل والمساواة والتصدي للظلم والبدع مستندين في ذلك الى ماتبناه وسار عليه الفقيه أبو عمران الفاسي في مبدأه القائم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولا: أبو عمران الفاسي السيرة والمكانة العلمية

هو موسى بن عيسى بن أبي حاج أبو عمران الفاسي ثم القيرواني[1]، البديري الغفجوني المالكي[2]، ولد في سنة ثمان وستين وثلثمائه[3]، أخذ القراءة وسمع من جماعة من مختلف البلاد في بداية تعليمه كما أشار ابن الجزري نقلا عن احد شيوخه قائلا "...أخذ القراءة عن أبي الحسن بن عمر الحمامة وسمع من جماعة كتب معنا بالقيروان وبمصر وبمكة وتوجه الى بغداد وأنا بمكة سنة تسع وتسعين وثلثمائه وأقام أشهرا..." [4]، وأشهر الدروس التي تلقاها أبو عمران الفاسي كما يورد ابن الجزري قائلا"...وقرأ القران وسمع الحروف وكتب عن جماعة من محدثيها حديثا منثورا..." [5]، وكان له حضور مشهود في المجالس التي كان يعقدها الشيوخ كما أشار ابن الجزري"...وشاهد مجلس القاضي الإمام محمد بن الطيب"[6]، أما عن رحلاته فقد أورد ابن الجزري رحلته إلى القيروان التي توجه إليها بعد أن ترك مدينة فأس قائلا"...ثم انصرف إلى القيروان وأقرأ الناس بها مده ثم ترك الأقراء ودرس الفقه وسمع الحديث إلى أن توفي..." [7]، مشيرا في غضون ذلك إلى بعض الصفات التي كان يتصف بها أبو عمران الفاسي كما يقول ابن الجزري"... كان من اعلم الناس وأحفظهم جمع لفظ الفقه والحديث والرجال وكان يقرأ القرآت ويجودها مع معرفته بالجرح والتعديل "[8]، واخذ منه مجموعة من التلاميذ مختلف العلوم من غير أن يحدد من اخذ عته وإنما صاغ عبارته في هذا الخصوص بشكل عام كما يقول ابن الجزري نقلا عن حاتم بن محمد"...أخذ عنه الناس من اقطارالغرب ولم الق أحدا أوسع علما ولا أكثر رواية..." [9]، وأشار أيضا إلى فقهه"... وقال أبو عبد الله الحافظ شيخ القيروان القيروان تفقه على أبي الحسن الفاسي وهو اجل أصحابه..." [10]، أما عند دخوله الأندلس فقد تفقه على"... أبي محمد الاصيلي وسمع من عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر والكبار..." [11]، أما في بغداد فقد أشار إلى العلوم التي أخذها كما نقل ابن الجزري"...وقرأ القرآت ببغداد وسمع من أبي الفتح بن أبي

---

[1] ابن الجزري:شمس الدين محمد (ت833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1(بيروت، الكتب العلمية، 1933م)، 2/280-281

[2] hattp;//elmalkia.blogspt.com

[3] ابن الجزري:المصدر نفسه، 2/280.

[4] م ن.

[5] م ن.

[6] م ن، 2/280.

[7] م ن، 2/280-281

[8] م ن، 2/281

[9] م ن

[10] م ن

[11] م ن

الفوارس وأخذ الأصول عن أبي بكر الباقلاني ..." [1]، وأورد عدد المرات التي حج فيها من غير اضافه إلى إلى أخذه أو سماعه خلا ذلك، كما يقول ابن الجزري"...ثم حج مرات.." [2]، مشيرا في ختام ذلك إلى شهرته العلمية العالية وانتهاء رئاسة العلم إليه كما يقول ابن الجزري"... وانتهت إليه رئاسة العلم بالقيروان... مات في ثالث عشر رمضان سنة ثلاثين واربعمائة"[3].

- **مكانة أبو عمران الفاسي وأثرها الفقهي**

يعد الفقيه أبا عمران الفاسي من ابرز الشخصيات التي كان لها أثرها في بلاد المغرب العربي خلال العصر الوسيط، وكان لشخصيته الفقهية اثر كبير في المجتمع المغربي أنذاك بكل صورها، ولاسيما انه كان حافظا للمذهب المالكي وإمام أهل المغرب من غير منازع له[4]، إذ كان له قصب السبق في التغييرات الفكرية والمذهبية التي حصلت في بلاد المغرب العربي، رغم عدم وجود دراسات تسعى إلى تقديم دراسة مستفيضة ومستقلة عن شخصية هذا الفقيه ولاسيما العلمية والفقهية منها على وجه الخصوص التي كانت أكثر جذبا للباحثين من اجل بلورتها في شكلها السياسي والفقهي والبحث في مكنوناتها وفق سياقات وأهداف دعتها إلى تشكيل الأساس التاريخي لها في ضوء إطارها العام والخاص.

ورغم عدم وجود مادة تاريخية متكاملة لبناء الإطار العام والخاص لهذا الموضوع الذي له أسبابه، منها فقدان مؤلفات هذا الفقيه، وما لاقته شخصيته من إهمال وتهميش ولاسيما في الجانب السياسي على الرغم من دوره الرئيس في هذا الجانب، وعدم وجود مادة علمية واضحة المعالم تسد النقص الذي حصل في الروايات التي وردت عنه في المصادر التي يشوبها نوع من الارتباك وعدم الدقة في إيضاح مامعروف عنه

---

(1) م.ن

(2) م.ن

(3) الفاسي:محمد، أبو عمران الفاسي والعلاقات العلمية بين المغرب وتونس، مجلة المناهل، العدد 17، 1980م. أول مفكر في تأسيس دولة المرابطين، مجلة البينة، العدد 3، 1962م، صص 65-72؛كنون:عبد ، أبو عمران الفاسي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الأول، 1970م، صص 49-60

(4) البكري:أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت478هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي)، ص64؛ ألحميدي:محمد بن أبي نصر(ت448هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الابياري، (بيروت، دار الكتب اللبناني، 1989م)، ص538؛عياض:القاضي موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م)، 280/2؛ياقوت الحموي:عبد الله بن احمد الرومي البغدادي(ت626هـ)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر)، 207/4؛ابن الأثير:عز الدين ابو الحسن على بن محمد الجزري(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1995هـ)، 328/8-329؛ابن أبي زرع:أبو الحسن على الفاسي(ت677هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس، (الرباط، دار المنصور للطباعة والنشر، 1972م)، ص122؛الحميري:عبد المنعم البتي(توفي حوالي 710هـ)، الروض المعطار في خبر الإفطار، تحقيق د.إحسان عباس، ط2(بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980هـ)، ص435؛ابن عذارى:أبو العباس احمد بن محمد المراكشي(توفي بعد 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة د.أحسان عباس،ط3(بيروت، دار الثقافة، 2982م)، 7/4؛الذهبي:شمس الدين احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسينط9(بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412هـ)، 545/7؛ ابن الخطيب:لسان الدين أبو عبد محمد التلمساني(ت776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف على الطويل، ط1(بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م)، ابن خلدون عبد الرحمن بن أبي زيد الحضرمي(ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت، دار القلم، 1984م)، 182/6؛ابن تغري بردي:ابو المحاسن يوسف بن الجمال الاتابكي (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية ألعامه للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، 77/5؛مجهول: الحلل الموشية في ذكر الإخبار المراكشية، تحقيق د.سهيل زكار وعبد القادر زمامه، (الدار البيضاء، دار الرشاد ألحديثه(799هـ)، 1979م)، ص19.

في هذا المجال[1]. إذ كان أبو عمران الفاسي مؤلفا يشار له بالبنان إذ كانت له العديد من المؤلفات منها في الحديث إذ خرج من عواليه نحو مائة ورقه جمعها في كتاب((الامالي)) [2]، وفي الفقه كتاب ((التعاليق على المدونة)) إذ ترجم فيه لبعض رجال زمانه ومرافقهم التاريخية[3]، وكتاب((الدلائل والأضداد))[4]، والنوازل[5]، ونسب إليه كتاب في الفتاوى عرف بـ ((مسائل أبي عمران)) [6]، والفهرسة له كتاب ((الفهرست)) أو برنامج الأستاذة أفرده للحديث عن الشيوخ الذين تلقى العلم على أيديهم[7].

مع كل هذا الاانه لم تتطرق إليها المصادر التاريخية بشكل تفصيلي فكان لذلك أثره على كتاباته في العلوم الشرعية لأنه يبدو من خلال الاثر السياسي للتاريخ يكمن خلفه تاريخ العقيدة والأصول والفقه[8]، وغيرها من العلوم.

وكان لأبو عمران الفاسي عدد كبير من التلاميذ كما أشارت بعض المصادر[9]، من الذين كان لهم التفاف حول شخصيته دافعهم في ذلك فضلا عن العلم الذي يأخذونه منه تقليده في العلم والهيئة لذا كانوا شديدي الحرص على اخذ العلم منه ورغم ذلك كان لديهم نوع من الإهمال في تدوين أي شيء عن هذا الفقيه من خلال مؤلف يضم سيرته ومكانته العلمية ودوره في التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ المغربي خاصة، ومن أشهر تلامذته على سبيل المثال لا الحصر: عبد الله بن رشيق القرطبي (ت419هـ)، الذي لزم شيخه أبو عمران الفاسي مدة من الزمن وأعجب به وبمواقفه وخصه بقصائد طويلة من شعره[10]، والقاسم القنطري الأندلسي[11].

ولم تكن هناك دراسة واضحة المعالم لإبراز دور أبي عمران الفاسي في التاريخ وإبراز معالمه السياسية والتاريخية، إذ لم يرد في تلك الدراسات سوى بعض الخطوط العامة المحددة وذات مفاهيم مختزله تدعوا إلى التعجب من تلك المواقف ومنها البكري الذي أشار بشكل مبسط إلى دور أبو عمران الفاسي في

---

[1] ألحميدي:م.ن، ص480؛ابن فرحون:برهان الدين إبراهيم بن علي(ت799هـ)، الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق مأجون الحيان، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م)، ص422؛ابن أبي دينار الرعيني:ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، تحقيق زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م)، 526/2، 544، 624/8

[2] ابن فرحون:تبصره الإحكام في أصول الاقضيه ومناهج الإحكام، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1301هـ)، 23/2؛الونشريسي:احمد بن يحيى ين محمد بن عبد الواحد بن على التلمساني المالكي(ت914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتأوي أهل إفريقيه والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي(بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981م)، 144/10

[3] الرعيني:م.ن، 330/7

[4] م.ن، 174/1، 330/7.

[5] الكتاني:محمد بن عبد الحي بن عبد الكبير بن الحسين أبي المكارم، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،ط2(بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982م)، 159/1؛ابن سوده:عبد السلام، دليل مؤرخي المغرب، (بيروت، دار الفكر للطباعة، 1997م)، ص208

[6] ياسين:عبد الجواد، السلطة في الإسلام، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1988م)، ص 219

[7] الذهبي:م.ن 546/17.

[8] ابن الآبار:أبو عبد محمد بن عبد (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، (بيروت، دار الفكر للطباعة، 1995م)، 239/2

[9] م.ن، 15/2.

[10] المغرب في ذكر بلاد المغرب، صص 164-174.

[11] الأنيس المطرب، صص14، 122

قيام دولة المرابطين رغم دوره الكبير والفعال في ذلك[1]، وابن أبي زرع الذي همش دور أبو عمران الفاسي السياسي في مدينة فأس[2]، رغم الدور الذي لعبه أبو عمران الفاسي في الإلحاح على الدولة البربرية واستقلال المغرب وتأسيس أول دوله بربرية مستقلة عن المشرق[3]، وابن عساكر الذي اختزل الحديث عنه عندما أشار بشك مقتضب عن دوره في التصدي للمناوئين ودعم المذهب الأشعري في بلاد لمغرب[4]، والسبكي الذي اخذ هذا الأمر استنكارا على ابن عساكر[5].

وهناك وقفة لبعض العلماء والمؤرخين عند شخصية أبي عمران الفاسي الفذة من حيث كونه فقيها وزعيما شعبيا التف حوله عدد كبير من الناس أبرزهم تلامذته وأكابر القيروان، كما يصف ذلك الشاطبي ذلك قائلا"... من أكابر أهل القيروان"[6]، وابن تغري بردي الذي أشار إلى التفاف أكابر العلماء حوله قائلا"... ومن كبار العلماء"[7]، ووصف علمه وحفظه الذهبي قائلا"... ومن اعلم الناس وأحفظهم"[8]، وعياض الذي وصف رئاسته للدين في وقته قائلا"... حاز الذكر ورئاسة الدين في وقته"[9]، الأمر الذي جعله أن تكون له من المؤهلات والصفات التي تكون ذات تأثير على العامة ويتجهون إليه في الحوادث[10].

ثانيا: الضرورة السياسية عند الفقيه أبو عمران الفاسي

نظرا للمكانة العلمية التي كان عليها الفقيه أبو عمران الفاسي كان هدفها الأساس طلب العلم الذي جعل منه شخصية علميه ذات مواصفات اتسمت بالموسوعية لمختلف المعارف ونتيجة لذلك أسبغت عليه ألقاب ذات طابع علمي فعد المكثر[11]، والإمام[12]، والعالم[13]، والعلامة[14]، والإمام الكبير[15]، والمقرئ

---

(1) مجهول:مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايه، ط1(الربط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005هـ)، ص 165 165

(2) ابن عساكر:أبو القاسم(ت571)، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (دمشق، التوفيق، 1347ه)، ص112

(3) ألسبكي:تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو(القاهرة، دار إحياء الكتب العربية)، 372/3

(4) الشاطبي:أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ثم الغرناطي(ت790هـ)، فتاوى الإمام ألشاطبي، حققها وقدم لها محمد أبو الأجفان،ط2(تونس، 1985م)، ص210

(5) النجوم الزاهرة، 30/5

(6) سير النبلاء، 546/17

(7) ترتيب المدارك، 279/2

(8) م.ن، 279/2؛ الدباغ م.ن، 168/3

(9) .ألحميدي:م.ن، ص538

(10) عياض:م.ن.281/2

(11) الدباغ م.ن، 159/3-160

(12) الذهبي:المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، (عمان، دار الفرقان، 1494هـ)، 134/1

(13) الذهبي:السير، 545/17

(14) ابن تغري بردي م.ن، 30/5

(15) ألمحاربي:ابن عطية، الفهرس، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط2(بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982م)، ص ص65-75

[1]، والمحدث[42]، والحافظ[43]، ولم تقتصر اهتماماته على تلك العلوم بل اتسعت لتشمل بعض العلوم التجريبية مثل :الكيمياء والفلك[2].

ورغم كل هذه العلوم والشهرة العلمية التي نالها أبو عمران في حياته، إلا إن للفقه كان نصيبا كبيرا من اهتمامه الذي مثل الدافع الرئيس الذي وجهه نحو السياسة، ويعزو ذلك إلى لقبه"أبو عمران الفقيه"[3]، وأصبح شيخ المذهب[4]، وإمام المالكية في زمانه[5]، وأصبح شيخ فقهائها[6]، إذ كان قضاة الأمصار يستفتونه في كثير من المسائل[7]، لذا تكونت لديه من جراء ذلك ملكة فقهية نقدية امتازت بالحيادية والموضوعية وذلك من خلال آرائه التي قدمها على كتب الإمام ابن عبد البر القرطبي (463هـ) التي اثنى عليها[8]، وكذلك دفعه فضوله العلمي والمعرفي إلى الإشارة إلى اقتباس الفقيه الأندلسي محمد بن عبد الله الشراط(ت341هـ) مؤلفاته من مؤلفات الفقيه الحنفي ابن قادم القروي[9].

ومما تقدم من معلومات عن أبي عمران الفاسي العلمية وموسوعيته إلى القول الراجح بأن عقله الفقهي يقوم على أساس ربط أو إيجاد نوع من العلاقة التي تربطه بالسياسة في ضوء محددات لها أثرها في الكشف عن علاقة الفقيه بالسلطان التي ستكون الأساس الذي يعتمد عليه الفقيه المالكي في الخوض بالمجالات السياسية، إلا إن هذا السياق لم يكن من اهتمامات أبو عمران الفاسي كونه فقيها وجه اهتمامه بالمسألة السياسية، ولاسيما في مجال التداخل بالنسبة لأبو عمران الفاسي بين الفكر الأشعري الذي لعب في التأثير فيه الإمام الباقلاني أستاذه الذي لعب دورا كبيرا باعتباره رأس الاشعرية وشيخ المالكية في المشرق الأمر الذي جعل تلاميذ المغاربة يرحلوا إليه لطلب العلم ولاسيما الفقه فاندمج عندهم مذهبه الفقهي بمنهجه الأشعري[10]، رغم انه لم تحدد المصادر الوقت الذي اعتنق فيه أبو عمران الفاسي المذهب الأشعري[11]، على الرغم من انه نبغ من مدينة فأس التي عرفت الاشعريه[12]، وتأثر بفكر أستاذه الاصيلي (ت392هـ) في الأندلس[13]، والذي كان له دور كبير في توجيه أبو عمران الفاسي إلى بغداد التي أقام بها سنوات عده[14].

---

(1) عياض:م.ن، 281/2
(2) ابن الأزرق:محمد بن علي بن محمد الأزرق، أبو عبد شمس الغرناطي(ت896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق تحقيق على سامي النشار، (العراق، وزارة الأعلام)، ص151
(3) م.ن
(4) ابن خلدون.م.ن، 243/6
(5) عياض:م.ن، 280/2
(6) ابن فرحون.م.ن، ص101
(7) عياض:م.ن، 318/2
(8) ابن عطية:م.ن، ص83
(9) عياض:م.ن، 120/2
(10) عياض:م.ن، 204/3، 228، 280
(11) أحنانه:يوسف، تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، (الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م)ن صص 62-65
(12) ابن رشد: أبو الوليد محمد بن احمد(595هـ)، الفتاوى، تحقيق المختار بن طاهر التليلي(دار الغرب الإسلامي، 1987م)، 943/2، 944
(13) عياض، م.ن، 243/2
(14) م.ن، 242/2

وزادت صلة أبي عمران الفاسي بالاشعرية عندما انتقل إلى القيروان التي تتلمذ فيها على يد أستاذه الحسن القابسي[1]، وتلقى العلم أيضا على يد الهروي الذي كان على مذهب الإمام مالك والأشعري [2]، ونضج المذهب والفكر الأشعري عند الإمام أبو عمران الفاسي عندما كان في العراق وتتلمذ على يد الباقلاني[3]، الذي أصبح مرجعا لطلبة المغاربة في كل المسائل والنوازل[4]، لذا كان من الطبيعي أن يتأثر أبو عمران الفاسي بأ ستاذه الباقلاني تأثرا عميقا وهو مااعترف به أبو عمران الفاسي كما نقل عياض" سيف أهل السنة في زمانه، وإمام متكلمي أهل الحق... رحلت إلى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي، وابن محمد الاصيلي، وكانا عالمين بالأصول، فلما حضرت مجلس القاضي أبو بكر ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والمؤلف والمخالف، حضرت نفسي وقلت: لأعلم من العلم شيئا، ورجعت عنده كالمبتدئ"[5].

وهذا الأمر له مشاركة في الاتجاه السياسي للفقيه أبو عمران الفاسي تتلمذه على مشايخ[6]، كان لهم قصب السبق في السياسة منهم على سبيل المثال:القاضي الاصيلي بالأندلس[7]، والقابسي[8]، الذي تأثر به به أبو عمران تأثيرا كبيرا حتى انه نسب إليه وكان يلقب "بابي عمران القابسي"[9]، وغيرهم.

وكان لتردد أبو عمران الفاسي على بغداد انه قد حضر مجالس الفقيه الأشعري الماوردي(450هـ)، وانه اطلع على مؤلفاته ذات العمق السياسي التي تحالف فيها الدين والقوة والمال من اجل إقامة ألدوله[10].

وكان لهذا الأمر اثر بالغ عند أبو عمران الفاسي عندما اراد تطبيقا في المغرب منطلقا من جملة أراء كان لها أثرها في مد فكر أبو عمران الفاسي وصقل شخصيته العلمية والدينية، التي كان لها محدداتها إلى الوحدة السياسية تحت راية الإسلام الشرعية على مذهب المالكي ولاسيما انه رحل في العالم الإسلامي في المغرب إلى الأندلس إلى مصر إلى الحجاز إلى العراق[11]، وكان لديه نوع من الرفض والاستنكار على الواقع الذي كان ينظر إليه نظرة الناقد الحاد[12]. الذي استاء من مظاهر عده كونت لديه الرفض والنقمة

---

[1] م.ن
[2] الذهبي:السير، 557/17
[3] ابن عساكر م.ن، ص217
[4] التهامي:إبراهيم، الاشعريه في المغرب وموقف العلماء منها، ط1(الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع،، 2006م)، صص 14-13
[5] عياض:م.ن، 204/2
[6] م.ن، 280/2
[7] م.ن، 245/2
[8] م.ن، 226/2
[9] م.ن، 276/2، 361
[10] الماوردي:الإمام أبو الحسن(ت450هـ)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي الدين هلال السرحان، (بيروت، دار النهضة، 1981م)، ص153
[11] عياض:م.ن، 280/2
[12] الدباغ م.ن، 160/3-163

عليها والرغبة في تغييرها، كما يقول عنه الدباغ"...انه كان ذا هيبة ووقار وسكينه، قليل الضحك، يعلوه الهم لأحوال أمته لدرجة انه مارؤي ضاحكا الامرة واحدة"[1].

ثالثا: دوره السياسي في الإحداث

كان للإحداث السياسية التي مرت بها بلاد المغرب العربي اثر كبير في بلورة الاتجاه السياسي عند الفقيه أبي عمران الفاسي في مدينة فأس خلال الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري وما تركه من الفراغ السياسي نتيجة سقوط دولة الادارسه وماجره من الصراعات والخلافات التي أدت إلى انفراد الزناتيون (380–460هـ) بالحكم وماجره على مدينة فأس من الغبن والاضطرابات[70]، التي جعلت البلاد مسرحا للفوضى من نهب وخطف وسرقه[2]، وما لاقاه الشعب من ظلم وعدوان على أيدي الحكام[3]، كما أشار ابن أبي زرع إلى إلى ذلك قائلا"... كانوا يأخذون أموال التجار، فلا يقدر احد أن يصدهم عن ذلك ولا يتجرأ أن يكلمهم فيه، ومن لم يوافقهم في شيء من ذلك أوصدهم عنه قتلوه..." [4]، لذلك كان طبيعيا نتيجة تلك الإحداث الجسام التي تمر بها البلاد إن يكن لها مؤثراتها على الفقيه أبي عمران الفاسي ومنها موقفه السياسي تجاه تلك الإحداث، كما يقول ابن الأحمر كما نقل لنا صاحب نبذ تاريخيه قائلا "...كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وبسبب ذلك أخرجه من فأس الطغاة من أهلها العاملين عليها لمغراوة فاستقر بالقيروان"[5].

ولم تشر المصادر إلى الحقبة الزمنية لموقفه السياسي الذي تكون لديه من خلال رحلاته إلى المشرق ملتزما بموقفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6]، وهي دعوه تبناها أبو عمران الفاسي نتيجةعنف الحالة السياسية التي كانت عليها البلاد من اجل التصدي لظلم حكام زناته، وما تبعه من أحداث كان لها الأثر في تأسيس دولة المرابطين فيما بعد[7]، الأمر الذي يؤدي إلى التخلي عن المفهوم الذي كان متمسكا به أبو عمران الفاسي الذي يقوم على أساس النهي عن اجتماع أهل الزهد والعبادة الذين كانوا يجتمعون بين قراءة القران وحكاية قصص الصالحين وإنشاد الشعر[8]، ويشير ابن الأحمر إن الذين تولوا طرد أبي عمران الفاسي الفاسي من فأس هم عمالها ووجهائها وليس أهاليها لنهيه عن المنكر وأمره بالمعروف كما يقول الفاسي"... لنهيه لهم عما تولوا مهمة طرد أبي عمران من فأس هم عمالها وما أحدثوه من البدع والمظالم والمغارم، وأخذهم أموال الناس بغير حق، وأعانوا على ذلك ولاة أمرهم من بني أبي العافية المكناسيين ومغراوة وبني يفرن... ولذلك نهاهم أبو عمران فأخرجوه بسبب ذلك واستقر بالقيروان"[9]، وهنالك رأي آخر يذهب إلى إن عملية طرده من مدينة فأس تمت بمباركة مناوئيه من فقهاء السلطة من المالكية المحافظين الذين استندوا

---

(1)م.ن
(2)ابن عذاري م.ن، 231/1-252
(3)م.ن، 338/1
(4)مجهول:م.ن، ص42
(5)م.ن، ص 100
(6)م.ن، ص44
(7)زغلول:سعد، تاريخ المغرب العربي، (الاسكندريه، المعارف)، 160/4
(8)الرعيني:م.ن، 569/5، 330/7، 164، 280
(9)كنون:عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، (بيروت، 1975م)، ص52، 53

في ذلك إلى موقفهم في اتهام أبي عمران الفاسي في عقيدته نتيجة اشتغاله بعلم الكلام وتبنيه للفكر الأشعري الذي كان للمالكية مواقف منها[1]، ولاسيما إن أبا عمران الفاسي قد مثل مدرسة التجديد التي دخلت في صراع مع مدرسة التقليد وذلك من خلال اشتغاله بعلم العقليات[2]، ولاسيما الكيمياء والتنجيم[3]، وما سجلته المصادر من مساجلات ومناظرات دارت بين أبي عمران وأقطاب الفكر التقليدي[4]، وما جر ه من خلافات بينه وبين بعضهم كما يقول عياض"خلاف ونزاع ومراجعه"[5]، بلغ ذلك من قيام شيوخ تلك المدرسة من منع تلاميذهم من حضور دروس أبي عمران الفاسي والنقل عنه كما يشير عياض ووصول الأمر إلى حد التحريم[6] وهو الأمر الذي اقره الفقهاء ومن ضمنها كتب أبي عمران الفاسي[7]، ولذا لم يكن اختيار أبي عمران الفاسي للقيروان بعد خروجه من فأس وفق خطه مدروسة لإكمال مسيرته ضد الظلم والجور والاعتداء ضد الأمير باديس بن زيري(386–406هـ)، الذي أمر بإرسال قوة عسكرية إلى المهدية لمعاقبة أهلها، الأمر الذي استدعى الشيخ القابسي اتخاذ موقف ضد هذا الأمر بإرسال أبي عمران الفاسي الذي كان من"اجل أصحابه"[86]، واكبر تلامذته[8]، ومعه مجموعه من تلامذته الذين التفوا حوله لحمايته من بطش الأمير الزيري، وحملهم رسالة ذات طابع عنيف وأمرهم بقراءتها على منبر المسجد الجامع بالقيروان الأمر الذي دفع أبو عمران ومن معه فقرئت الرسالة مع مابها من العنف وكان لها أثرها الأمر الذي دفع السلطة إلى احتواء الموقف خشية من تداعيات الموقف الذي يقود إلى ثورة يقودها القابسي وتلامذته ومنهم أبو عمران الفاسي[9]، وكذلك الأحداث التي جرت وأدت إلى مشاركة أبي عمران الفاسي في الإحداث التي حصلت في أواخر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري هدفها مواجهة الفاطميين والعمل على تطويق دولتهم من الشرق والغرب من خلال إقامة كيان سياسي سني يوحد مناطق الغرب الإسلامي[10].

وقد تبنى تلك القائمة على أساس التطويق للفاطميين من كل المناحي السياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها بما في ذلك تأليف الكتب في الرد عليهم وغيرها[11]، ولذلك انبرى لقيادة هذه المهمة الفكرية أبو عمران الفاسي بمباركة شيخه الباقلاني، ولذلك لعلو همته المعرفية والذهنية وسعة اطلاعه وحجته[12]، ولاسيما إن الباقلاني كان شديد الإعجاب به[13].

---

(1) الفاسي:محمد، عبد الله بن ياسين وانتشار الإسلام بإفريقيا، المجلة الإسلامية، العدد، 1982، ص29
(2) الذهبي: السير، 557/17
(3) م ن، 545/17
(4) ابن الأزرق م ن، ص151
(5) عياض:م.ن، 283/2
(6) م ن
(7) م ن
(8) م ن
(9) ابن تغري بردي م.ن، 30/5
(10) الذهبي:السير، 545/17
(11) عياض:م.ن، 226/2
(12) م ن
(13) الذهبي:السير، 27/15

ومن اجل تنفيذ مشروعه السياسي، استنتج أبو عمران بان هناك مجموعة من الخطوات التي يجب اتخاذها منها الالتزام ببرنامج تربوي من اجل خلق جيل مثقف له إدراك في تلك المفاهيم التي تقوم بالتغيير السياسي وتنفذ مشروعه في هذا الخصوص لذا أشار إلى ضرورة تعليم الأبناء[1]، وعمل على استقطاب اكبر اكبر عدد من التلاميذ إلى مجالسه العلمية التي كانت تختص في كافة المعارف العلمية بدءا من القران والحديث وغيرها من العلوم[2]، وكان يقصده الطلبة لطلب العلم إلى بيته من اجل السماع والمذاكرة[3].

ومن اجل دعم مشروعه السياسي واستقطاب اكبر عدد من المؤيدين له، أدرك أهمية الوقوف إلى جانب الناس ومساعدتهم في حل قضاياهم والترفع عن كل الخلافات بما فيها الفقهية، والعمل على الوحدة بكل مبادئها من اجل المصلحة العامة للبلاد وتجنب المجابهات القوية التي أخذت حيزا من وقته[4]، وهذا يدل يدل على تركيزه في تدريس الفقه والحديث لما لهما من دور في التأثير السياسي على الناس[5]، وذلك من خلال نبذ الفرقة والعمل على وحدة البلاد والامة وسيادة روح الأخوة والتراحم والتعاطف بينهم[6]، والحث على رفض الخلافات ولاسيما الدينية منها[7]، حتى اشتهر عنه انه لايتحدث بالأمور التي لا تقبلها عقول العامة[8].

ومن اجل دعم مشروعه الإصلاحي، أدرك أبو عمران الفاسي إلى ضرورة كسب السلطة الزيريي وربما كان اتجاهه هذا بتنبيه من السلطة الحاكمة في بغداد ولاسيما ادراكة إن موالاة الزيرين للفاطميين كانت شكلية تعتمد على بعض المظاهر الصورية[9]، وبالمقابل لم يكن لدى الزيرين من دوافع في مناهضة رجال أبي عمران الفاسي[10]الذين عملوا على أكرامهم[11]، والاعتماد عليهم كبديل شرعي[12]، ورفعهم الحضر جزئيا المسلط على فقهاء المالكية[13].

وان هناك نوعا من العلاقة بدت ملامحها بين الفقيه أبي عمران الفاسي والأمير المعز بن باديس أساسها المصالح بين الطرفين السلطوي والديني واستئناسه لابي عمران لاسيما إن المعز نشأ في أحضان

(1)عياض:م.ن، 281/2
(2)الشوشاوي: حسن بن على الرجراجي(توفي في أواسط القرن الرابع الهجري)، الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، تحقيق إدريس عزوزي، (الرباط، وزارة الأوقاف، 1989م)، صص 291-292
(3)م.ن
(4)الذهبي:السير، 545/17
(5)الدباغ م. ن، 160/3
(6)عياض:م.ن، 283/2
(7)ابن الجزري م.ن، 282/2
(8)ابن البرزلي: الإمام أبي العباس احمد بن عبد الرحمن الزليطني (ت898هـ)، المسائل المختصرة/جامع مسائل الإحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام/فتاوى البرزلي، تحقيق الدكتور محمد حبيب (2008م)، 321/3-322
(9)عياض:م.ن، 2 /281
(10)ابن عساكر:أبو القاسم(ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمري، (بيروت، دار الفكر، 1995م)، 351/38
(11)عياض:م.ن، 279/2
(12)م.ن2، /229، 325
(13)ابن عذاري م.ن، 240/1

المالكية[1]، وحضور أبي عمران في مجلس المعز الذي كان يستفتيه ويستشيره بشكل خاص في المسائل الشرعية والسياسية وغيرها[2]، وكذلك انتداب الأمير ألزيري لأبي عمران الفاسي للإجابة عن مائة سؤال من فنون العلم وجهها احد علماء الأندلس لعلماء القيروان، أجاب عليها الفقيه ببراعة دعت الفقيه الأندلسي إلى صياغة قصيده شعرية يمدح فيها علماء القيروان وحكام إفريقيه[3]، ومن تلك الأسئلة إجابة الفقيه عن السؤال السياسي الهام الذي يتعلق بالدولة الفاطمية وموقف أبي عمران الفاسي منهم إذ كان يسمي عاصمتهم بالمهدية[4]، تأيدا منه لفتوى علماء القيروان بهذا الخصوص[5]، ومن خلال التركيز على بعض الفتاوى لابي لابي عمران الفاسي من اجل تحقيق مكسب سياسي هي استقطاب الأمير ألزيري إلى جانب معسكره وتبلور هذا في اختيار بعض فتاوى أبي عمران لجانب السلطة ومنها جواز فرض المكوس على الرعية[6]، وكراهة التهرب منها[112]، وطاعة الحاكم[7]، وغيرها من الفتاوى[8].

ثالثا: تداعيات الأحداث السياسية عند الفقيه أبي عمران الفاسي

نتيجة لإحاطة أبي عمران الفاسي بإحداث عصره وإدراكه لمجمل قضاياه السياسية وما ترتب عليها من حركة تاريخية كان محركها الأساسي تلك الأحداث التي كان لها دورها الفعال في المزج بين التيار الديني والسياسي الذي تبلور في فكره وأخرجه من مكنوناته على شكلها الذي كان له محركه الأساسي في التاريخ من خلال تقديم النصيحة للأمير الزيري من مغبة الشقاق والارتفاع عن المسالمة[9]، وكذلك مكانته عند الأمير الزيري المعز بن باديس ودوره الفاعل في تهيئة المعز ابن باديس لأحداث لقطيعة الكبرى مع الفاطميين والدعوة للخلافة العباسية[10]، رغم وجود العقبات التي واجهت هذا الأمير وأقنعت أبا عمران الفاسي بعدم قدرة السلطة على تبني مشروعه السياسي القائم على أساس إقامة دولة قوية موحدة قادرة على لم شتات الغرب الإسلامي[11]، وعجز الأمير ألزيري عن القيام بمشروعه هذا[12]، الأمر الذي دفع أبو عمران الفاسي إلى تغيير اتجاهه من اجل وضع الخطوط العامة لقيام دولة المرابطين من خلال لقائه بالأمير ألجدالي يحيى بن إبراهيم الذي التقى به لدى عودته من القيروان راجعا من الحج[13].من خلال الالتزام بالمبادئ أو الأسس التي

(1) الدباغ:م.ن، 26/1
(2) عياض:م.ن2، / 166، 224، 226
(3) الذهبي:العبر في خبر من غبر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، (الكويت، 1960م)، 13/6
(4) الدباغ:م.ن، 1616/3.
(5) عياض:م.ن، 317/2
(6) م.ن، 27/2
(7) م.ن، 292/2
(8) البرزلي:م.ن، 27/3
(9) م.ن، 272/4، 408/10
(10) الهنتاني:ابن الشماع، مطالع التمام ونصائح الأنام ومناجاة الخواص والعوام في القول بإباحة أغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ماشرع الله من الحدود والأحكام، تحقيق عبد الخالق احمدون، (المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م)، ص15
(11) الرعيني:م.ن، 482/6، 271/7
(12) ابن حزم:أبو محمد علي بن احمد(ت456هـ)، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق د.إحسان عباس، ط2(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987م)، 86/2
(13) ابن عذاري:م.ن، 277/1

حددها الماوردي لقيام الدول وهي الدعوة الدينية والعصبية والثروة، كما يقول"فأما تأسيس الملك فيكون في تثبيت أوائل ومباديه، وإرساء ومبانيه، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: تأسيس دين، وتأسيس قوة، وتأسيس مال"[1]، وهذا ماكان يطمح له في تأسيس دولة كبرى تسيطر على بلاد المغرب مستندا في ذلك إلى عصبية صنهاجة في ظل دعوة دينية ومن هنا تكمن أهمية إلحاح الأمير ألجدالي على أبي عمران في أن يرسل معه من يثق في علمه ودينه ويعلمهم الأحكام الشرعية[2]، ودعوتهم إلى الكتاب والسنة النبوية وتعليمهم شرائع الإسلام[3]، الإسلام[3]، وهذا دليل على أهمية البعد الديني في تأسيس الدولة.

وكذلك نجد إن أبا عمران الفاسي ذاع صيته في الغرب الإسلامي لاسيما في صحراء الملثمين وظهر دوره كرجل أصلاحي واجه الظلم والفساد الذي شاع في مضارب صنهاجة كونه اشتهر ذكره وانتشر علمه[4]، علمه[4]، وهنا أدرك أبو عمران الفاسي لابد من التحام العصبية والثروة في نجاح مشروعه هذا في إقامة دولة دولة سنيه مالكية في هذه المنطقة ذات القبائل الكثيرة[5]، وكذلك حثه على قتال برغواطه وزناته بعد أن اجتمع معه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [125]، وهنا تكمن عبقرية أبي عمران الفاسي في اختيار الشخص الأقرب إلى حقل التغيير في كونه ملم بكل الظروف وهو تلميذه وجاج اللمطي[6]. الذي أرسله إلى بلاد السوس ومعه رسالة إلى عبد الله بن ياسين الذي كان أهلا لهذا الاختيار الذي نحج فيه في بلورة فكر أبي عمران الفاسي في تأسيس دولة المرابطين [7].

الخاتمة

ومما تقدم نخلص بان هناك عوامل عده ساعدت في الكشف عن شخصية الفقيه أبي عمران الفاسي وذلك من خلال بلورة بعض الآراء التي تعاملت معه كشخصية دينية سياسية ربطت بين هذين المحورين وساعدتها في ذلك عوامل عده منها موسوعيته العلمية وأفكاره التي وظفها في سبيل فتح آفاق سياسية لتكوين الإطار الأساسي لبناء الدولة في ظل الظروف التي كانت تمر بها البلاد من تدهور في كل حالاتها لذا عد زعيما شعبيا فضلا عن كونه فقيها وتبنى الفكر الأشعري وكان دعاته في مبادئه طلبته الذين كانوا ملازمين له في كل الظروف التي كانت تواجهه، لذا كان جل اهتمامه إقامة دولة سنية مالكية تجمع شتات الغرب الإسلامي الذي يكمن في تأسيس دولة المرابطين التي كان من الواجب على فقهائها وحكامها الالتزام بتعاليم الفقيه أبي عمران الفاسي.

---

(1) م.ن

(2) ابن الأزرق م.ن، ص151

(3) القادسي:إبراهيم، تاريخ الغرب الإسلامي- قراءة جديدة في بعش قضايا المجتمع والحضارة، ط1(بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1994م)، صص 54-62

(4) الفاسي م.ن، ص153

(5) البكري م.ن، ص165

(6) ابن أبي زرع م.ن، ص122

(7) ابن أبي زرع م.ن، ص123